تقديم الكتاب

بقلم

الدكتور/ **عبد الله عبد الكريم العبّادي**

عميد كلية التربية بجامعة ام القرى (فرع الطائف)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد :

فإن التأليف في هذا الزمان أصبح مشقةً عظيمة على الباحثين، وهي مشقة من جانبين :

الجانب الأول : تمكُّن الباحث وتفرغه، ومدى قدرته على الرجوع إلى أمهات الكتب، وصبره على البحث في زمان ضاق أهله ذرعا بغير المادة النفعيَّة، وتفرقوا عن تأصيل الذات المفيدة النافعة لأجيال الأمة إلى الحطامات الزائفة إلا قليلاً.

الجانب الثاني : سَبْق المؤلفين المتقدمين إلى أنواع العلوم بمذاهب شتى من التأليف والإطناب والإيجاز، فتعددت المؤلفات المتفقة عنواناً، المختلفة بياناً، حتى ضاق القارئ بذلك ذرعاً وسلك عنه سبيلاً.

وعندما يحدِّث المؤلف نفسه في هذا الزمان بالكتابة والتأليف فإن عليه أن يدرك هذين الجانبين؛ فلا يكن ممن يستعجله القلم لإنهاء الكتاب، أو تقعد به الهمم عن المعرفة تبعاً لتلك الأسباب.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ضَرْب من ذلك المثل الذي شق به مؤلفه الطريق في زمن اتجه أهله إلى الماديات المغرية حتى في الكتابة والتأليف،

وتزاحمت فيه الكتب على رفوف المكتبات، شيقه العنوان، جميلة التغليف.

وعندما استعرضت هذا الكتاب تذكرت يوم كنا نتلقى العلم والمعرفة من امهات كتب العقيدة، بدءاً بكتاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» وشرح ارجوزات المؤلفين في العقيدة، واستنباط آيات الاحكام في العقيدة من كتب الشوكاني وغيره، ومن الصحاح وشروحها المتعددة.

إن العقيدة هي ركيزة الإسلام الاولى، وأول أركان الإسلام – وهي الشهادة – عقيدة متفرع منها توحيد الربوبية والألوهية، ثم يتبعه توحيد الأسماء والصفات. من اجل ذلك كانت العقيدة هي الركيزة الأولى التي تعتمد عليها اركان الإسلام الخمسة، فلا أركان بلا عقيدة ولا إسلام بلا ركيزة.

والفطرة التي فطر الله الناس عليها عقيدة صافية، لا يشوبها شرك في الاعتقاد، ولا عمل يعتريه الضلال والفساد. ولذلك كان استمرار عقيدة الفطرة أمراً مطلوباً من كل موحِّد سلمت عقيدته من الدخائل المبطلة. وتلك هي الفطرة التي حددها قول الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. والعلم هنا هو الاعتقاد والمعرفة والإدراك لتلك الحقيقة العظيمة المرتبطه بحياة البشر ودينهم وأعمالهم.

وهذا الكتاب الذي يبحث في العقيدة، كتاب جمع بين دفتيه جانبين يمثلان البحث في أصول العقيدة، وتحديد النظام المنبثق عن هذه الاصول كما يشير المؤلف.

وعندما استعرضت هذا الكتاب وجدته كتاباً نافعاً لطالب العلم، يعرض للقضايا في سهولة ويسر، ويسعى لتقريب المفاهيم للدارسين وطلاب العلم، ويؤيد

ذلك العرض بالدليل الناصع والمرجع النافع والأسلوب البارع. ويعتمد على حسن الدلالة ووضوح الإحالة، وذلك مطلب المتعلمين والدارسين.

لقد ألف العلماء الأجلاء في العقيدة مؤلفات شتى، تباينت في طريقة تناولها لهذا الجانب الهام في حياة المسلمين، وكلها نافع ومفيد، والحمد لله. ولكنها تتباين في طراز القارئين فبعضها لا يدركه إلا العالم المتخصص، وبعضها الآخر يحتاج إلى إضافة وتحليل وشرح وتعليل!

ولقد جاء هذا الكتاب ـ فيما أراه ـ صالحاً لطالب العلم الذي يبتغي معرفة الأصول ونظامها، ويحتاج إلى الشرح والتبسيط وتقريب المعرفة. وهذا نمط من التأليف لا يتهيأ لكل كاتب ولا يتيسر لكل طالب.

وإذا كانت مصادر العقيدة معروفة مألوفة فإن المؤلف قد استطاع أن يقرب إلى الأفهام مدلولات تسهل إثبات الحقيقة الراجعة إلى المصدر بدليل واضح لا يحتاج إلى أدلة شارحة. وذلك ما يريده المتعلم في هذا المجال.

وإذا كان المؤلف في هذا الكتاب قد استنبط من بعض الأدلة مقاييس لم تكن قائمة في عصر السابقين، أوجدها العصر الذي نعيشه، فقد لا يوافقه البعض على جوانب مما ذكر، ولكن أمر الاجتهاد في العلم والمعرفة مفتوح، فتح بابه الإسلام لأهل العلم، وجعل مرده لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ثم لأهل العلم والمعرفة، وذلك ما قام به المؤلف؛ فإن إرجاع الرأي في العقيدة لأهل العلم ـ وقد أشار المؤلف إلى جمعٍ منهم ـ هو من دلائل الإجماع. ولا إخال إلا أنهم سيقيّمون هذا الكتاب خير تقييم. والله المستعان.

وبعد:

فهذا الكتاب ـ كما ظهر ـ فيه من الجهد والتتبع والاستقصاء والاجتهاد ما يدل

على عزم مؤلفه أن يصل به إلى التمام. وفوق كل ذي علم عليم. ومما يشرح النفس ويريح الخاطر هو اجتهاده في تتبع الأدلة وحصر الشواهد والرجوع إلى أمهات الكتب في كل موضوع يطرقه. وفي كل معنى يأتيه، والتثبت مطلوب لكل عالم يريد لعلمه قبولاً ومكانة.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الصواب، وأن يجنبنا الخطأ والارتياب، وأن يجعل أعمالنا عبادة الصادقين معه، المخلصين لدينه، سالمةً من المؤاخذة. ونسأله أن لا يوكلنا إلى علمنا وإلى عملنا فإنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *